ذكر النخل وما يتعلق به

قال تعالى: ﴿ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴾ 1 وقال تعالى: ﴿ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ﴾ 2 وقال تعالى: ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾ 3 وقال تعالى: ﴿ ومن النخل من طلعها قنوان دانية ﴾ 4.

أخرج ابن المنذر فى تفسيره: عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ ﴾. قال: الطوال 5. وأخرج عن عكرمة قال: الباسقات: الطوال، والنضيد: المتراكم 6.

وأخرج عن عبد الله بن عثمان بن خثيم قال: سألت عكرمة عن هذه الآية ﴿ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾ فقلت: ما بسوقها؟ قال: بسوقها طلعها[1]، ألم تر إلى الشاة إذا حال ولادتها يقال لها بسقت. قال: فرجعت إلى سعيد بن جبير فقلت له: فقال:

---

(١) فى الأصل: طولها. والأوفق ما أثبتناه من النسخ الأخرى بدلالة السياق بعدها. ولكن الوارد عن عكرمة من طريق عبد الله بن خثيم أنه قال: بسوقها كبسوق النساء عند ولادتها. ولم يفسر بسوقها بطلعها. انظر: تهذيب الكمال للمزى (٢٠/ ٢٨١) وسير أعلام النبلاء للذهبى (٥/ ٢٤). على أن تفسير الباسقات بالطوال مروى أيضا عن عكرمة نقله عنه الطبرى فى تفسيره (٢٦/ ١٥٣) من طريق هناد عن أبى الأحوص عن سماك.

---

1 سورة ق، الآية ١٠.

2 سورة الرحمن، الآية ١١.

3 سورة مريم، الآية ٢٥.

4 سورة الأنعام، الآية ٩٩.

5 أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٢٦/ ١٥٣).

6 المصدر السابق، المكان نفسه.

كذب، بسوقها طولها فى كلام العرب، ألم تر أن الله قال ﴿ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾ ثم قال ﴿ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴾.

وأخرج أيضا عن ابن عباس ﴿ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴾ قال: أوعية الطلع 1. وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله ﴿ ومن النخل من طلعها قنوان دانية ﴾ قال: المتهدلة من عروق النخل 2.

وقال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ. تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَا ﴾ 3.

أخرج الترمذى والنسائى والحاكم فى المستدرك وصححه وابن حبان فى صحيحه وأبو يعلى والبزار فى مسنديهما وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه فى تفاسيرهم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ بقناع من بسر فقال: « **مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة – قال – هى التى لا ينقص ورقها، هى النخلة** ». 4

وأخرج البخارى 5 عن ابن عمر قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: « **أخبرونى عن شجرة تشبه أو كالرجل المسلم لا يتحات 6 ورقها ولا**[1]**، تؤتى أكلها كل حين**

---

(١) كذا وردت هذه اللفظة فى النسخ الخطية، وقد يسبق إلى الذهن أنها مقحمة وأن المعنى يأباها، ويظن أن النفى متوجه للجملة بعده، ولكن الحديث هكذا ورد فى صحيح البخارى، بل تكرر النفى ثلاث مرات. قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (١/ ١٤٦): كذا ذكر النفى ثلاث مرات على طريق الاكتفاء، فقيل فى تفسيره: ولا ينقطع ثمرها، ولا يعدم فيؤها، ولا يبطل نفعها. ووقع فى رواية مسلم ذكر النفى مرة واحدة، فظن إبراهيم بن سفيان الراوى عنه أنه متعلق بما بعده وهو قوله « تؤتى أكلها » فاستشكله، وقال: لعل « لا » زائدة، ولعله (وتؤتى أكلها). وليس كما ظن، بل معمول النفى محذوف على سبيل الاكتفاء كما بيناه، وقوله « تؤتى أكلها » ابتداء كلام على سبيل التفسير لما تقدم. انتهى كلام الحافظ ابن حجر.

1 أورده ابن كثير فى تفسيره (٤/ ٢٧١).
2 وأخرجه الطبرى فى تفسيره (٧/ ٢٩٤).
3 سورة إبراهيم، الآيتان ٢٤، ٢٥.
4 أخرجه الترمذى فى سننه (٥/ ٢٩٥) والنسائى فى السنن الكبرى (٦/ ٣٧١) والحاكم فى المستدرك (٢/ ٣٨٣) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وأقره الذهبى فى التلخيص، وابن حبان فى صحيحه (٢/ ٢٢٣) وأبو يعلى فى مسنده (٧/ ١٨٢) وابن جرير الطبرى فى تفسيره (١٣/ ٢٠٥).
5 صحيح البخارى (٤/ ١٧٣٥) ولكن بتكرار لفظ النفى الوارد فى الحديث ثلاث مرات. كما أشرنا إليه سابقا.
6 لا يتحات: لا يتناثر ولا يتساقط.

بـإذن ربها ». قال ابن عمر: فوقع فى نفسى أنها النخلة. فقال رسول الله ﷺ: « **هى النخلة** ».

وأخرج ابن مردويه عن محمد بن عباد بن جعفر قال: قعدنـا إلى ابـن عمـر فسمعتـه يقول: لما أنزلت هذه الآية ﴿ **ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة** ﴾ قال رسول الله ﷺ: « **أتدرون أى شجرة هذه؟** ». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: « **هى النخلة** ».

(فقال عبد الله بن عمر: والذى أنزل عليك الكتاب لقد وقع فى نفسى أنها النخلة)[1] ولكنى كنت أصغر القوم ولم أحب أن أتكلم. فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: « **ليس منا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير** ».

وأخرج البخارى ومسلم وأبو عوانة وابن حبان فى صحاحهم من طرق عن ابن عمر[2] قال: كنا عند النبى ﷺ فأتى بجمار فقال: « **إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم، أخبرونى ما هى؟** ». فوقع الناس فى شجر[3] البوادى، ووقع فى نفسى أنهـا النخـلة1. ولفظ أبى عوانة: فظننت أنها النخلة من أجل الجمار الذى أتى به، فـأردت أن أقول هى النخلة فإذا أنا أصغر القوم ورأيت أبا بكر وعمر لم يتكلما، فكرهت أن أتكلم، فقال رسول الله ﷺ: « **هى النخلة** ».

وأخرج الحارث بن أبى أسامة فى مسنده2 عن ابن عمر قال: كنا عند رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «**إن مثل المؤمن كمثل شجرة لا تسقط لها أنملة أتدرون ما هى؟** ». قالوا: لا، قال « **هى النخلة لا تسقط لها أنملة، ولا تسقط لمؤمن دعوة** ».

---

(١) ما بين القوسين ليس فى جـ.

(٢) هذه اللفظة ليست فى الأصل.

(٣) فى الأصل: شجرة. وما أثبتناه من بقية النسخ، وهو أوفق بالسياق وبما فى مصادر التخريج.

---

1 صحيح البخارى (١/ ٣٤) وصحيح مسلم (٤/ ٢١٦٤) وصحيح ابن حبان (١/ ٤٨١).

2 أورده الهيثمى فى بغية الحارث بزوائد مسند الحارث (٢/ ٩٦٥).

قال الحافظ أبو الفضل بن حجر فى شرح البخارى 1: عرف من هذا الحديث وجه الشبه بين النخلة والمسلم من جهة عدم سقوط الورق.

قال: وفى لفظ عند البخارى: « **إن من الشجر**[1] **بركته كبركة المسلم** ». قال: وهذا أعم من الذى قبله. وبركة النخل موجودة فى جميع أجزائها، مستمرة فى جميع أحوالها، فمن حين يطلع إلى حين ييبس تؤكل أنواعا، ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها حتى النوى فى علف الدواب والليف فى الحبال وغير ذلك مما لا يخفى، وكذلك بركة المسلم عامة فى جميع الأحوال ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته.

ووقع عند ابن حبان 2 عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: « **من يخبرنى عن شجرة مثلها مثل المؤمن أصلها ثابت وفرعها فى السماء** ». فذكر الحديث، قال القرطبى 3: موقع التشبيه بينهما من جهة أن أصل دين المسلم ثابت، وأن ما يصدر عنه من العلوم والخير قوت للأرواح مستطاب، وأنه لا يزال مستورا بدينه، وأنه ينتفع بكل ما يصدر عنه حيا وميتا.

وأخرج البزار فى مسنده. بسند صحيح عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: « **مثل المؤمن مثل النخلة ما أتاك منها نفعك** »4.

وأخرج البيهقى فى شعب الإيمان5: عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: « **مثل المؤمن كمثل النخلة إن صاحبته نفعك وإن شاورته نفعك، وإن جالسته نفعك، وكل شأنه منافع، وكذلك النخلة كل شأنها منافع** ».

---

(١) هذه اللفظة ليست فى الأصل.

---

1 فتح البارى (١/ ١٤٥).
2 صحيح ابن حبان (١/ ٤٧٨).
3 أورد هذا القول ابن حجر فى فتح البارى (١/ ١٤٧).
4 أورد هذا الحديث ابن حجر فى فتح البارى وصحح إسناده. انظر: المكان السابق.
5 شعب الإيمان (٦/ ٥٠٤).

وذكر بعضهم 1: أن موضع التشبيه بين المسلم والنخلة من جهة كون النخلة إذا قطع رأسها ماتت، وأنها لا تحمل حتى تلقح، وأنها تموت إذا غرقت، وأن ريح طلعها كرائحة منى الآدمى، وأنها تعيش [1]، وأنها تشرب من أعلاها، وأنها خلقت من فضلة طين آدم.

وأخرج أبو يعلى فى مسنده وابن أبى حاتم فى تفسيره وابن السنى فى الطب النبوى: عن على بن أبى طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **أكرموا عمتكم النخلة، فإنها خلقت من الطين الذى خلق منه آدم عليه السلام، وليس من الشجر شىء يلقح غيرها** » 2.

وقال رسول الله ﷺ: « **أطعموا نساءكم** [2] **الولد الرطب، فإن لم يكن رطب فتمر، وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران** 3 ».

وأخرج ابن أبى حاتم 4 فى تفسيره عن الشعبى قال: كتب قيصر إلى عمر بن الخطاب ﷺ: إن رسلى أتتنى من قبلك فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليقة 5 لشىء من الشجر، تخرج مثل آذان الحمير، ثم تشقق مثل اللؤلؤ، ثم تخضر فتكون كالزمرد الأخضر، ثم تحمر فتكون كالياقوت الأحمر، ثم تينع فتنضج فتكون كأطيب فالوذج، ثم تيبس فتكون عصمة للمقيم وزادا للمسافر، فإن تكن رسلى صدقتنى فلا أرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة. فكتب إليه عمر: من عبد الله عمر أمير

---

(١) فى ب، جـ: تعشق، والمثبت هو الموافق للمعنى ولما فى فتح البارى لابن حجر العسقلانى (١/ ١٤٧).
(٢) ليست فى ب.

---

1 انظر فتح البارى. الموضع السابق.
2 أخرجه أبو يعلى فى مسنده (١/ ٣٥٣) وأبو نعيم فى حلية الأولياء (٦/ ١٢٣) وأورده عن ابن أبى حاتم الحافظ ابن كثير فى تفسيره (٣/ ١١٨) وقال: هذا حديث منكر جدا. وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٥/ ٣٩) رواه أبو يعلى، وفيه مسرور بن سعيد التميمى وهو ضعيف.
3 هذا الحديث متم لما قبله. فتخريجهما واحد.
4 أورده ابن كثير فى تفسيره (٤/ ٢٧١) من رواية ابن أبى حاتم. وأخرج هذا الأثر أيضا الرافعى فى كتابه التدوين فى أخبار قزوين (٢/ ٤٠٩)
5 بخليقة: أى بشبيهة.

المؤمنين إلى قيصر ملك الروم، إن رسلك قد صدقوك، هذه الشجرة عندنا، وهى الشجرة التى أنبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها، فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلها من دون الله، فإن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون.

وقال القالى فى أماليه: حدثنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن [1] عرفة النحوى الأزدى بقطرنه [2]، حدثنا إسماعيل بن إسحاق الأزدى، حدثنا على بن عبد الله، حدثنا سفيان، حدثنا الربيع بن لوط بن البراء قال: ذكروا عند عمر بن الخطاب ﷺ أيهما أفضل: الرطب أم العنب فقال عمر ﷺ: أرسلوا إلى أبى حثمة. فقال: يا أبا حثمة: أيهما أطيب العنب أم الرطب؟ فقال: ليس كالصقر فى رؤوس الرقل، الراسخات فى الرجل، المطعمات فى المحل، تحفة الصائم، وبغية الصبى، ونزل مريم بنت عمران، ينضج ولا يعيى طابخه، ويحترش به الضب من الصلعاء، وليس كالزبيب الذى إن أكلته ضرست، وإن تركته عرشت.

قال القالى: الصقر الدبس1 بلغة أهل الحجاز. والرقل: الطوال من النخل، واحدتها رقلة. والنزل ما يساغ من الطعام. ويحترش: يصاد. والصلعاء: الأرض التى لا نبات فيها.

وقال الدينورى فى المجالسة: حدثنا محمد بن عبد العزيز، حدثنا أبى، عن محمد بن يزيد بن مطير قال: قال محمد بن إسحاق: كل نخلة على وجه الأرض فمنقولة من الحجاز نقلها النماردة إلى المشرق، ونقلها الكنعانيون إلى الشام، ونقلها الفراعنة إلى باب إليون وأعمالها، وحملها التتابعة[3] فى مسيرهم إلى اليمن وعمان والشجر وغيرها.

---

(١) هذه اللفظة ليست فى الأصل.
(٢) فى ب: بغطونه. واللفظة ليست فى جـ.
(٣) فى الأصل: القنابعة.

1 الدبس: عسل التمر أو ما يسيل من الرطب.

وقال صاحب مباهج الفكر: يقال إن مما من[1] الله به للإسلام النخل، وأنه قدر جميع نخل الدنيا لأهل الإسلام فغلبوا على كل موضع هو فيه.

وأخرج ابن المنذر فى تفسيره: حدثنا موسى، حدثنا يحيى، حدثنا شريك، عن أبى إسحاق عن رجاء بن حيوة قال: يأتى على الناس زمان لا تحمل النخلة فيه إلا ثمرة واحدة 1.

وقال: حدثنا موسى، حدثنا يحيى، حدثنا وكيع، عن شريك، عن أبى إسحاق، عن رجاء بن حيوة، عن كعب: مثله.

وفى تذكرة ابن حمدون: حكى أن النظام جاء به أبوه وهو حدث إلى الخليل بن أحمد ليعلمه فقال له الخليل يوما يمتحنه وفى يده قدح زجاج: يا بنى صف لى هذه الزجاجة. فقال: بمدح أم بذم. قال: بمدح. قال: تريك القذى، ولا تقبل الأذى، ولا تستر ما وراءها. قال: فذمها. قال: سريع كسرها، بطيء جبرها. قال: فصف هذه النخلة وأومأ إلى نخلة من داره. قال: بمدح أم بذم. قال: بمدح. قال: هى حلو مجتناها، باسق منتهاها، ناضر أعلاها. قال: فذمها. قال: هى صعبة المرتقى، بعيدة المجتنى، محفوفة بالأذى. قال الخليل: يا بنى نحن إلى التعلم منك أحوج.

ومن اللطائف: قال الأدفوى: أخبرنى العدل أبو بكر خطيب إدفو أن جمارة طرحت ثلاث شماريخ، فى كل شمروخ ثمرة واحدة، وأنه قلع الجمارة بأصلها، ووزنها فجاءت خمسة وعشرين درهما كلها بجريدها وخشبها وذلك بإدفو. نقله المقريزى فى الخطط.

ومن اللطائف: قال الحافظ ابن حجر فى إنباء الغمر: حكى شرف الدين محمد[2]

---

(١) هذه اللفظة ليست فى الأصل.

(٢) فى ب، جـ: أحمد.

---

1 أخرجه – أيضا – ابن أبى شيبة فى مصنفه (٧/ ٥٠١) ونعيم بن حماد فى الفتن (٢/ ٦٤٧) والطبرى فى تفسيره (٩/ ٢٩).

ابن عبد الواحد نزيل هو1 عن ناصر الدين محمد بن محمد بن عطاء الله قاضى هو أنه كان بجانب داره نخلة جربها بضعا وثلاثين سنة، فإن قل حملها توقف النيل، وإن كثر زاد، وأنها سقطت فى سنة ست وثمانمائة فقصر النيل تلك السنة ووقع الغلاء المفرط.

فائدة: ذكر الشيخ بدر الدين الزركشى فى كتابه المسمى (عمل من طب لمن حب) – ومن خطه نقلت – أن النخلة لا تسمى شجرة وأن قوله ﷺ فيها: « إن من[1] **الشجر شجرة** » 2 – على سبيل الاستعارة لإرادة الإلغاز. انتهى.

وفيما قاله نظر، فإن الأحاديث والآثار متضافرة (على تسميتها شجرة فى غير محل الإلغاز، وقد سميت فى القرآن شجرة فى قوله تعالى ﴿ **كشجرة طيبة** ﴾ وقد تقدم)[2] تفسيرها بالنخلة. ثم رأيت التصريح فى كلام أهل اللغة بتسميتها شجرة. قال الزجاجى فى كتاب (الاشتقاق): النخل يسمى الشجر.

قال الشاعر:

وأخبث[3] طلع طلعكن لأهله وأنكد ما خيرت من شجرات

ومما قيل فى النخل

قال أبن الحداد

روض كمخضر العذار وجدول نقشت عليه يد النسيم مواردا

والنخل كالهيف الحسان تزينت فلبسن من أثمارهن قلائدا

---

(١) هذه اللفظة ليست فى الأصل.

(٢) ما بين القوسين ليس فى الأصل.

(٣) فى الأصل: وأحيت.

---

1 هو: بليدة أزلية على تل بصعيد مصر بالجانب الغربى دون قوص.

2 سبق تخريجه قريبا.

وقال آخر:

إن للنخل فى التشابيه عندى ابتكارا محير الأذهان

كجوار غدين يرقصن لهوا عاريات الرؤس والأبدان

قد تقلدن فى النحور عقودا خذ تشابيهها بنطق لسانى

لؤلؤ كان أولا ثم أضحى عن قليل زبرجدا كالبنان

وكذا بعضها يعود سريعا كمكاحيل[1] صيغة البهرمان1

وكذا بعضها سبائك تبر لطخوها من خالص الزعفران

وقال الشريف الناسخ:

ونخلة قد علت سموا وانخفضت دونها الجبال

فمن شماريخها الثريا ومن عراجينها الهلال

فى الطلع

لبعضهم:

كأنما الطلع يحكى لناظرى حين أقبل

سلاسلا من لجين يضمها حق صندل

وقال ابن المعتز:

أفدى الذى أهدى إلينا طلعة أهدى إلى القلب المشوق بلابلا

فكأنما هى زورق من صندل قد أوسقوه من اللجين سلاسلا

---

(١) فى الأصل: كما حبل.

---

1 البهرمان: العصفر.

وقال الوكيعى:

وطلع هتكنا عنه جيب قميصه فيا حسنه من منظر حين هتكا
حكى صدر خود1 من بنى الروم هزها سماع فقدت عنه ثوبا ممسكا

فى الجمار

أهدى لنا جمارة من لست أخشى من عذابه
فكأنما هى جسمه لـما تجرد من ثيابه

وقال آخر:

ظبى بدا وبكفه جمارة فيها سرور الناظر المتأمل
كعمود كافور إذا هى أبرزت من كنفها[1] يعلوه مسحب صندل

فى البلح الأخضر

أما ترى النخل نثرت بلحا جاء بشيرا بدولة الرطب
مكاحل من زبرجد خرطت مقمعات[2] الرءوس بالذهب

[فى الأصفر

أما ترى البسر الذى قد جاءنا بالعجب
مكاحلا من فضة قد طليت بالذهب] [3]

---

(١) فى ب، جـ: ليفها.
(٢) فى الأصل: مقمعا.
(٣) ما بين المعقوفتين ليس فى ب.

---

1 خود: الخود هى الشابة الناعمة الحسنة الخلق.

فى الأحمر

انظر إلى البسر إذا تبدى ولونه قد حكى الشقيقا
كأنما خوصه عليه زبرجد مثمر عقيقا

فى الرطب

أما ترى الرطب المجنى لأكله حلوا أعدت لنا من صنعة البارى
ما باشرتها يد العقاد من عمل فى الدست يوما ولا حطت على النار

وقال سيدى محمد وفا الشاذلى نفعنا الله تعالى به:

نثر النخل علينا رطبا مذهب اللون ولون بالسبج
فى صفائحه ماء قد حكى فضة بيضاء يعلوه لهج
حاصل فى وضحة ليس بها إذ يجول الطرف فيها من عوج
فى حميم قدرأينا لججا[1] ليس يحكيهن فى الأرض لجج
ولنا فى كل حين حولها من نبات الأرض زهر[2] وفرج

ومن رسالة لابن الأثير أنشأها إلى الملك الظاهر غازى بن يوسف بن أيوب يقول فيها:

وقد أهدى المملوك من الرطب وما يتجلى فى صمغة الوارس 1، ويزهى بحسنه حتى كأنه لم يدنس بيد لامس، وما سمى رطبا إلا لاشتقاقه من الرطب الذى هو ضد اليابس، وقد أثنى عليه رسول الله ثناء جما، وفضل شجرته على الشجر بأن سماها أما، ولئن عدم عرفا 2 لذيذا فإنه لم يعدم منظرا لذيذا ولا طعما، وله أوصاف

---

(١) فى الأصل: سججا.
(٢) فى ب: رهو. وفى جـ: زهو.

---

1 الوارس: الشديد الصفرة.
2 عرفا: أى: رائحة.

أخرى هى لفضله بمنزلة الشهود، فمنها أنه جعل أول غذاء يفطر عليه الصائم وأول غذاء يدخل بطن المولود، وأحسن من ذلك أنه معدود من الحلواء وإن كان من ذوات الغراس، ولا فرق بينهما إلا أنه من خلق الله وتلك من صنع الناس، وإذا أنصف واصفه قال: ما من ثمرة إلا وهى عنه قاصرة، ولو تفاخرت البلاد بمحاسن ثمارها لقامت أرض العراق به فاخرة، وما قد سار إلى باب مولانا وهو مجنى المنابت سار إلى مجنى الكرم، وملك الفاكهة وقد علا ملك الشيم[1]، ولما استقلت به الطريق أنشأ الحسد لغيره من الفواكه أربا، وما منها إلا من قال: يا ليتنى كنت رطبا.

قال بعضهم ملغزا فى الرطب:

ما اسم يروقك شكله ومذاقه وإذا عكست فعكسه مذموم
رطب وفيه مرارة ويبوسة بادى الصفات وبعضه مكتوم؟

ومن إنشاء الشهاب محمود ملغزا فى النخل:

يا إماما أصول علومه ثابتة، وفروع فنونه فى سماء الفضائل باسقة، وفى رياض العيون نابتة، ما شىء يبهج الناظر مرآه، ويزين الرياض النواضر منشاه، إن صحفته [2] طار فى الهوا، ووجد فيه الجمع بين الداء والدوا، وإن عكسته بعد تصحيفه ذم به اللسان، وسقط بسببه الإنسان، وربما اتصف به من لم تزده معرفته رفعة، ولم تظهر له وإن كثر سماعه بين أهل الحديث سمعة، فإن أسقطت عند ذلك أوله كان وصف من حن إلى أوطانه، حنين النجيب 1 إلى أعطانه، وإن خططت رتبة إعجامه أول حروفه، وعمدت بعد استقامته إلى تحريفه، ذم المتصف به بين جنسه، وكانت جنايته فى نفس الأمر على نفسه، وإن أفردته نقص عدده، وقل ذلك مدده، وقصر عن رتبة الغنى من حوته يده، بل وربما علوته

(١) فى ب، جـ: النسيم.
(٢) فى الأصل: صفحته.

1 النجيب: خيار الإبل وأحسنها. والجمع نجائب.

بسبب، وجنيت من رضابه 1 ما هو أشهى من الضرب 2، واستحب ذلك منه وإن عد من ذوات المحارم فى [1] اللفظ دون النسب، وله نتائج يختلف ألوانها، فترد فى كل عام ولا يتغير زمانها، فمنها ما يسر تصحيفه، ويروق انتظامه وتلفيفه، وإن قلبته رسب، ورد مصحفه ذا الجماح والشعب، أبنه فقد أوضحته لديك، وجلوت عرائسه عليك.

ومما يتعلق بالنخل فى الجملة، قال الشريف هاشم بن إلياس المصرى:

كأن بياض البدر من خلف نخلة بياض بنان فى اخضرار نقوش

وقال آخر:

والبدر يشرق فى خلال غصونه مثل المليح يطل من شباك

---

(٢) فى الأصل: من.

---

1 رضابه: الرضاب: الريق.

2 الضرب: العسل الأبيض الغليظ. والقطعة منه ضربة.

مناظرة بين الرطب والعنب

حدثنا أبو القاسم التواب، أن أبا عبد الله البواب، لما قيل عنه ما قيل، نودى فى الحال: أن لا مقيل، فتوجه إلى جلق وما نوى[1]، وكان كبرق تألق ثم انطوى، ولما دخلها قصدت إليه، وخيلته وما اشتملت عليه، فقال: يا أعز الأحباب، هذه مفاخرة الرطب والأعناب، أحضرها بعض أصحابى، يشغلنى عن مصابى، ثم ناولنيها فوجدت فيها تناظر النخل الباسقات، والكروم المتعلقات، فى أيها أشهى[2] وأنفع للأنام، وأشبه بآدم عليه السلام.

فقال النخل: نحن بنات الأعمام، ذوات الأكمام، وفينا خاصة الإيناس، وقرب التشبه بالناس، ولحملنا النضارة والطلاوة، واللطافة والحلاوة، نؤتى أكلنا كل حين بإذن ربنا، والسنن النبوية شاهدة بقربنا، وطلعنا نضيد رزقا للعباد، رطب وثمر وعجوة وأزواد، وإنا لمفضلون فى الكتاب، بتقديم ذكرنا على الأعناب.

فقال الكرم: بل نحن إلى الإنسان أقرب، وبه أشبه، وثمرنا أطيب، وميلهم إلينا أكثر، وأغنياؤهم بنا أشهر، وإن شاكل النخل من الناس الأشباح، فإنا نشاكل منهم الأرواح، ولنا القطوف الدانيات، والطعوم الذيذة النكهات، والألوان الرائقة، والخواص الفائقة، ثمرنا يخصب الأبدان، ويدر الألبان، ويصلح الكبد، وينفع المعد، ويغذو ويسر، ويفظ [3] ولا يضر، ويحلل ويلين، ويرطب ويسخن، وإنه المفضل على

---

(١) فى ب، جـ: لوى.
(٢) فى الأصل: اشتهر.
(٣) فى الأصل: وينعط. وفى ب: وينعظ.

ثمر النخل، بنص الكتاب فى سورة النحل1، فما للنخل من تعاظم علينا، ولا تطاول بفضل إلينا، ولو لم يكن الرأس وهو الذنب، لما ورد أيكفر بخالق العنب؟

قال النخل [1]: ليس الأمر كما قلت، ولا المدح كما عقلت، أليس منك من يحط الإنسانية، من رتبة الملائكة إلى مرتبة الحيوانية، وهو جماع الإثم والكبائر، ورأس الشر وباب الحقائر.

قال الكرم: قد قلت يا نخل شططا، وغلظت خطأ، وأخطأت غلطا، فمن أين لك هذا التخصيص؟ يا من ثمرته الحشف 2 والشيص 3، رأسك مأوى الحيات، وجسمك نتين [2] الجنات، وأنت صعب المراس، والشامخ على الناس بالراس، خوصك أخشن من ورق القصب، وتمرك يجنى بالنصب، (ومن خيلائك المنسوب إليك، لا تثبت قدم الراقى عليك، يا دقل، أنا العقل) [3] ليس الفخار بالجذوع العظام، ولا بثمر نواه كالعظام، بل بما هو نفع كله، أصله وغصنه وزهره وحمله، ولقد أخطأت أيها النخل، الذى تصحيف اسمه البخل، وتعريت يا غير محترم، على اسم النخلة [4] المشتق من الكرم.

قال النخل: قد تطاولت يا من لا يفلح بغير غرسه، ولا يفرح قائما بنفسه، تزاحم شجراتك الحشائش، وتأكل ثمارك النوايش، يا من سوقه عيدان، وغصونه ديدان، لضعف فيك انفرشت، وعلى الأعواد عرشت، مثل ضرب المثال، وقيل فيما قال:

---

(١) هذه اللفظة ليست فى الأصل.

(٢) فى الأصل، جـ: تبين.

(٣) ما بين القوسين ليس فى الأصل.

(٤) كذا بالأصول الخطية. والصواب: الكرمة. ليستقيم الكلام.

---

1 فى قوله تعالى ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ سورة النحل، الآية ٦٧.

2 الحشف: أردأ التمر.

3 والشيص: التمر لم يتم نضجه لسوء تأبيره أو لفساد آخر.

حصل[1] خصالا تكن[2] مجدا تعيش به بين الأنام ولا تركن إلى بشر
ولا تكونن مثل الكرم رام علا بغيره فغدا كلا على الشجر

ثم كلح وجه النخل من الغيظ، وكاد يميز من الغيظ، وقال: يا من كبره وضعه، وبغيه صرعه، لولا عناية الأجواد، لم تعل على الأعواد، فاستتر بالأوراق، وخفض من التراق، ولا تفاخرنا بقلة الماء، من أصلها ثابت وفرعها فى السماء، وإنها تعمر بيتا وتمونه، وتكن ساكنه، وتكسوه وتعلف دوابه، ويؤتى كل حين صبغه وشرابه، فجذعها جسور البيت وأخشابه، وليفها والجريد سقفه وأبوابه، والسعف1 والكرب2 جدرانه وسحطه، والخوص والقلب شرحه وبسطه، والطلع والتمر قوت الساكن، والجذع ماعون تغاير ومراكن، واللب[3] الأبيض مراوح وقباب، ونوى التمر علوفة الدواب، ودقائق العرجون خيوط وحبال، وغليظ الخوص قفاف وسلال، والليف الأبيض عمائم وثياب، والدبس والسيلان صبغ وشراب، وسطح الجمار كن كثين، وعند المخافة حصن حصين، والتمر حلوى يحب بنفسه، وقوت وحده نخله وغرسه، وفاكهة وغدا، ومتجر وردا، فهل للكرم الحقير الذميم، مثل هذا النفع العظيم، ثم فى طلعى وجمارى ومائى، وبسرى وبلحى وسائر أجزائى، من النفع والخواص، ما يعلمه العام والخاص، فدونك[4] الظل ليسلم قشبك، وادرج 3 يا كرم فما ذا عشك.

---

(١) فى الأصل، جـ: يحصل.
(٢) فى ب: تخذ.
(٣) فى جـ: والليف.
(٤) فى الأصل: فدونه.

---

1 السعف: جريد النخل وورقه.
2 الكرب: الأصل العريض للسعف إذا يبس.
3 وادرج: أى: اذهب. والجملة مقتبسة من المثل القائل: ليس هذا بعشك فادرجى. وهو مثل يضرب لمن يتعرض إلى شىء ليس منه.

قال: فتعلق الكرم بالنخل وطلبا التنافر إلى ابن [1] أبى طالب، إذ هو الحاكم فى هذه المطالب، وجعلا [2] الاقتصار من الكلام، على أيهما أشبه بالأنام، فمن كان أشبه وأنفع للبشر، كان المفضل على جنس الشجر، ثم تأدبا للتقاضى، وتمثلا لدى القاضى.

فقال النخل: إنا خصمان بغى بعضنا على بعض، وقد طال مطال الإبرام والنقض، وما تقاضينا، حتى تراضينا، بأن الأشبه منا بالإنسان، هو الأفضل من ذوات الأغصان، فاستمع مقالى ومقاله، وها أنا أسأل سؤاله.

قال: ليذكر النخل ما عنده، ثم يجيب الكرم بعده.

قال النخل: أيها الإمام، أنا أشبه من الكرم بالأنام، لأن رأسى كرءوس الناس، وأحب اللقاح والأنس والمراس، وريح طلعى كريح المنى منهم، وأغذوهم ويغذونى بالخارج عنهم، وأحب وأبغض [3] وأحبل باللقاح، وأمرض بالبرد والحر والرياح، وينشق القشر عند طلعى المنضود، كانشقاق المشيمة عن المولود، وهذا أيها القاضى ما إلى، فاحكم بالفضل لى أو على.

قال: حتى أسمع كلام الدالية، وإن كانت كلمة النخل العالية.

قالت الكرمة بعد الاستفتاح، أيها القاضى أنا شبيهة الأرواح، لطفى وسرى يشاكل الإنسانية، وبيتى وتعريشى يشابه البنيه، فساقى القائم وفروعى القراظ[4]، كأوداج الإنسان وأعصابه الغلاظ، وأغصانى اللطاف والخفيه، كالعروق البياض والليطيه 1، وتملى الأغصان بالماء، كتملى العروق بالدماء، والحكم قديم لمولانا، فاحكم بالقصد لأولانا.

---

(١) فى ب، جـ: على بن.

(٢) فى الأصل: وحولا.

(٣) هذه اللفظة ليست فى الأصل.

(٤) فى الأصل، ب: العراض.

---

1 والليطيه: نسبة إلى الليطة، وهى قشرة القصبة والقوس وكل شىء له متانة.

فقال:إن النخلة قريبة إلينا، والكرمة حبيبة لدينا، أوراق هذه حسان نضرات، وسعاف [1] هذه دائما خضرات، والزبيب والعنب، كالقصب والرطب، ثمرات مكرمة، ومياه محرمة، وكل يقطف ويكال ويوزن، ويؤكل ويعصر ماؤه ويخزن، والغذاء الصالح الدهن والتمر، والشراب المحرم السكر والخمر، ثم رفع الحاكم راسه، وأنشد جلاسه:

بين الدوالى ونخلنا نسب كلاهما بالهواء يضطرب

هما [2] سواء والفرق بينهما أنهما شاسع ومقترب

طلعهما دائم وأكلهما لنا وهذا عليهما يجب

قال: فخر النخل راكعا، وذل الكرم خاشعا، وقالا: يا حاكم الحكام.

فقال: الصلح سيد الأحكام، والحاكم لا ينصر العنب على التمر، ولا يفصل بينهما بأمر، وإن أراد النخل النصرة، فليأت برطب البصرة، وإن اختار العنب اللطائف، فليحضر عنب الطائف.

قال: فذهب النخل يهرول، وولى الكرم يولول، حتى غابا عن العين، وصارا خبرا بعد العين.

---

(١) فى ب، جـ: سقاق.

(٢) فى جـ: وهما.